جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

حجاب المرأة في الشعر القديم
- دراسة موضوعاتية-

إعداد

د. شريفة بنت إبراهيم بن محمد بن طالب
أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية التربية بالخرج جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز

(العدد الثاني والأربعون)
(الإصدار الثاني ٠٠أكتوبر)
(الجزء الخامس (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083)
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٣/٦٢٧١م

حجاب المرأة في الشعر القديم - دراسة موضوعاتية –

شريفة إبراهيم محمد بن طالب

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية التربية، جامعة الأمير سطام بن عبدالعزيز، الخرج، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: d.sherefah@gmail.com

الملخص:

يهدف البحث إلى تتبع موضوع حجاب المرأة في الشعر الجاهلي ومفرداته وقراءتها وفق المنهج الموضوعاتي، بغية الوصول إلى الدلالات، وكيف تم تداول المفردات وتطورها عبر العصور. وتكمن المشكلة البحثية في الإجابة عن بعض التساؤلات المشرعة: هل تطرق الشعراء الجاهليون إلى وصف حجاب المرأة؟ وكيف تواترت مفردات الحجاب في الشعر؟ وما دلالات حجاب المرأة عند الشعراء؟ وكيف تنوعت وتطورت مدلولات الحجاب عبر العصور ؟ النتائج البحثية والتوصيات: توافرت مفردات حجاب المرأة بكثرة في الشعر الجاهلي، وتنوع تناول الشعراء لها وفقًا لتباين أحوال المرأة ومكانتها المجتمعية، فهي إما حرة أو أمة، حضرية أو بدوية، كبيرة أو صغيرة، وتوصي الدراسة بالتوجه نحو بحث مفردات ومكونات حجاب المرأة على مدى العصور الإسلامية ودراسة الوشائج بين الحجاب قديمًا وحديثًا، وتتبع دلالته وقيمته الثقافية والأدبية من خلال النصوص الأدبية شعرًا ونثرًا.

الكلمات المفتاحية : الشعر، المرأة، الحجاب، الموضوعاتية، الأدب، العربي.

Title of Paper: Terminologies of Woman Hijab at Pre-Islamic Poetry- circulation study-

Sharifa Ibrahim Muhammad bin Talib

Department of Arabic Language، College of Education، Prince Sattam bin Abdulaziz

، Al-Kharj، Kingdom of Saudi Arabia.

Email: d.sherefah@gmail.com

Abstract:

This paper aims to follow up and read the terminologies of woman Hijab at Pre-Islamic Poetry according to circulation methodology and cultural approximation، as the result of reaching at the significance of terminologies، and how to handle and develop it via eras، throughout three factors: circulation methodology concept، status of Hijab for Arabs، showing some of terminologies and texts of Hijab، and nalyzing the semantic particulars vocabulary . Some of Paper Results: availability of Hijab terminology، Al naseef، burka، veil، mask، and many others. The poets had tackled these terminologies according to the situation of women and her social status، whether free or slave، urban or nomadic، old or small . One of the recommendations is: directing towards searching for terminologies and components of woman Hijab over Islamic eras and studying the linkage between old and modern Hijab، and its cultural and literary value throughout literary texts whether in poem or prose.

Keywords :*Literature، Arabic، Pre-Islamic، Poem، Woman، Hijab، Circulation.*

مقدمة :

ظَلَّت المرأةُ بكلِّ مكوناتها وجهة للإلهام والبحث والدراسة، وعلى مدى القرون كانت فاعلة ومتفاعلة، مسَّها التطور وطالتها التغيرات، وتداول الحديث عن مكانتها ودورها الأدباء والمثقفون والباحثون، واليوم أصبحت المرأة السعودية سيدة في المشهد الثقافي، مقدمة في الحقوق والكرامة، معززة مكرمة بعزِّ أهلها ودينها ووطنها، وفي ظل السعي نحو تمكينها، اخترتُ مفردة من مكونات المرأة ويمَّمت هدفي نحو التراث، مستلهمة النص التراثي؛ إذ ما يزال قطبًا مغناطيسيًّا تنجذب إليه جهود الدارسين على اختلاف مناهجهم وتباين مقاصدهم، وذلك لما لهذه النصوص من خصائص ثقافية ولغوية وقيمية وفنية، تشكل نسيجًا متجددًا؛ بحيث لا تجدّ حاجة ولا دراسة ولا توجهات جديدة إلا ووجدت لها في هذه النصوص ضالة، وكان هدفي أن أتتبع حجاب المرأة في قصائد الجاهليين كيف تداولوا مفرداته، وكيف تطورت دلالاته، وهل لها علاقة بما عليه حجاب المرأة السعودية اليوم.

المنهج وحدود البحث:

تَوَجَّهْتُ في هذه القراءة إلى النصِّ الشعري القديم، الجاهلي والإسلامي، واقتصرتُ على نماذج منه حتى لا تطول الدراسة وتمتد، واخترت المنهج الموضوعاتي؛ بغية الكشف عن مفردات الحجاب وتطورها عبر العصور.

أمَّا هدف البحث: فهو قراءة بعض من النصوص الشعرية التي جاءت فيها مفردات حجاب المرأة على ضوء المقاربة الموضوعاتي؛ بغية الوصول إلى دلالة المفردة، وتطورها عبر العصور. من خلال ثلاثة محاور: مكانة الحجاب عند العرب، عرض لبعضٍ من نصوص الحجاب، وتحليل دلالي للمفردات.

مشكلة البحث:

في ضوء الحديث عن مكانة المرأة في المملكة العربية والسعودية على وجه الخصوص، وفي ظل السعي إلى تمكينها وإحلالها مكانتها اللائقة بها، كَثُرَ الحديث عن قضاياها وحقوقها، ومنها: حجابها؛ تاريخه وشرعيته ومكانته، والبعد التراثي فيه، ومن هنا رأيت البحث في جذوره الأدبية سبيلًا إلى الإجابة عن أسئلة لغوية وثقافية حديثة مشرعة منها:

هل تطرق الشعراء الجاهليون إلى وصف حجاب المرأة؟ كيف صور الشعراء الجاهليون هذه العبادة والعادة في شعرهم؟ وكيف تواترت مفردات الحجاب في الشعر؟ وما دلالات تفاوت المفردة عند كل شاعر؟ وكيف تطورت مدلولات مفرداتها على مَرِّ العصور؟ من خلال قراءة ثقافية موضوعاتية في نصوص شعرية مختارة. وسيحاول البحث الإجابة عن جزء كبير من هذه الأسئلة.

أولًا: مكانة حجاب المرأة في الجاهلية

الحديث عن المرأة العربية على مستوى البحوث والدراسات مستفيض وممتد، فقد تطرق كثير من الباحثين لمكانة المرأة العربية ولباسها وعفافها وزينتها وشعرها وجميع متعلقاتها، ولكن –حسب بحثي– لم تَرِد الإشارة إلى حجابها، ما حَدُّه؟ وما صفته؟ وما حجمه؟ وما تاريخه؟ إلا إشارات قليلة ومتفرقة، لاتعدوا أن تكون مقالات في مواقع الكترونية .

والحديث عن موضوع الحجاب في الشعر الجاهلي، ونقده ثقافيًّا ومعرفيًّا يطول، والخوض فيه يحمل الكثير من التأويل؛ ذلك أن الشعر وثيقة يعتد بها على الظواهر القديمة ولا يجزم بها، وقد تتبعت كثيرًا من الباحثين في موضوع المرأة فوجدت أنهم لم يكادوا يتركون شيئًا من باطنها أو ظاهرها أو متعلقاتها إلا وبحثوه، ما عدا حجابها؛ فلم يكن إلا شذرات متفرقة قليلة، وكذلك كان مجيء الحجاب في الشعر، حتى قيل "إن الشعراء الجاهليين أغفلوا ذكر وجه المرأة في شعرهم"(١)، مما جعلني أبحث الأسباب، ولا أجزم –بدأ– أن السبب هو أن العفة والحياء أصل في سمات المرأة العربية فلا يطرقه الشعراء ، صونًا لمكانة المرأة وكرامتها وعفتها، وقد يكون السبب أن حجابها شائع فلا يلتفت الشعراء لوصفه، أو أنهم يعفون عن هتك سترها وحجابها في واقعهم وكذلك في خيالهم وشعرهم، فحفظوا للمرأة المتحجبة كرامتها وصانوا عفافها عن وصفه في شعرهم . كما لا أجزم بأنه لم يكن حاضرًا في مخيلة الشعراء؛ فالمرأة المثال أو الرمز دائمًا مكشوفة للوصف، وقليلًا ما يلتفت إلى ما يحيط بها، والشاعر الجاهلي أكثر ما وصف المرأة المثال أو الحلم، كما يؤكد ذلك كثير من الباحثين، وظلت صورتها رمزية؛ إما بحسب تقاليد العرب التي تحترم المرأة وتخفيها عن أنظار الرجال،

(١) انظر: صورة المرأة في الشعر الجاهلي، العامري، مقال على الشبكة الإلكترونية.

وإما لمكانتها المقدسة عندهم كمحبوبة، فهي في موضع الصون والإجلال، وذلك من تمام عفتها وكرامتها، ولشدة ما للمرأة من مهابة وإجلال لفرط حشمتها وعفتها وحيائها، ولما تؤديه من دور في حياة الشاعر ظهرت في صور رمزية أسطورية[١]، وعلى هذا المعنى جاء قول عمرو بن كلثوم:

تريك إذا دخلت على خلاءٍ ∴ وقد أَمِنَتْ عيون الكاشحينا[٢]

والحديث عن هذا الموضوع يُفضي بنا إلى التعريج على مكانة المرأة في الجاهلية؛ فالمرأة في الجاهلية إمَّا حرة أو أمة مملوكة، وإما حضرية أو بدوية، ولكل منها طبائع وطقوس تلائم مكانتها في مجتمعها، فما يليق بالحرة لا يليق بالأمة، وما تلبسه مَن تسكن البادية قد تأنف منه مَن تسكن الحاضرة، ومن ذلك كثير من مظاهر التبرج والزينة، و"كل ما وصلنا عن الملابس التي كانت المرأة العربية على عهد الجاهليَّة تتَّخذها للسُّترة والتدفُّؤِ أوَّلًا، ثمَّ للتزيُّنِ والتبرُّجِ آخِرًا"[٣]. ومن أصدق النصوص على ما كانت عليه المرأة في الجاهلية: ما جاء في القرآن الكريم من إشارة إلى ظاهرة سيئة وُجدت عند الجاهليين، عبر عنها القرآن بالتبرج فقال: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]، والتبرُّج يُستعمَل للدلالة على إظهار المرأة شيئًا من مفاتنها، وجسدها، وزينتها المُكتسَبة أمام الرّجال الأجانب عنها؛ وهم الرجال الذين لا تربطهم بها صِلة رحمٍ أو قُربى، ومن الألفاظ القريبة التي تُطلَق على التبرّج: العُرْي، والتّهتُّك، والتكشُّف، ...[٤].

---

(١) انظر: صورة المرأة في الشعر الجاهلي، العامري، مقال على الشبكة الإلكترونية.

(٢) انظر: أمالي المرتضى، علي بن الحسين (٤١/١).

(٣) انظر: ملابس المرأة الجاهليَّة في المعلَّقات، عبد الملك مرتاض، مقال على الشبكة الإلكترونية.

(٤) انظر: حراسة الفضيلة، بكر أبو زيد (٧٠/١-٧١)، بتصرف.

والتبرُّجُ معنًى يتعلق – انطلاقًا من كتب التفسير المختلفة– بجملة من المظاهر الإغرائيَّة ومنها –خصوصًا– رِقَّة الملابس، وَشَفَافَةِ القِناع وجاء في تفسيرها قول مجاهد : كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال، فذلك تبرج الجاهلية. وقال مقاتل بن حيان: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]، والتبرج: أنها تلقي الخمار على رأسها، ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها(١).

وقد وردت في تفسير حال النّساء في الجاهليّة الأولى عدّة تفاسير، منها: "إنّ النساء كُنّ يلبسْنَ درعًا من اللؤلؤ وهو غير مخيط من الجانبين، وكُنَّ يلبسْنَ الثّياب الرّقاق، ولا يوارين ولا يسترن أجسادهُنّ. وقيل: كانت المرأة تلبس قميصًا من الدُّرّ، والقميص غير مخيط من الجانبين. وقال المبرد – وهو أبو العبّاس –: كانت النّساء في الجاهليّة الأولى – وكان يسميها الجاهليّة الجهلاء– يُظهِرن ما يُعدّ إظهاره قُبحًا، وقال مجاهد: تبرّج الجاهليّة الأولى هو تمشّي النّساء بين الرّجال. وقال ابن عطيّة: إنّها إشارة للجاهليّة التي لحقتها نساء النبيّ –عليه الصلّاة والسّلام– فجاء الأمر لهنّ بالانتقال عن السيرة الأولى الجاهليّة، وهي ما كانت عليه النساء قبل الإسلام من سيرة الكُفّار؛ لأنّهم كانوا فاقدي الغيرة، ولا يغارون على نسائهم وأعراضهم، وكان حال النساء دون حجاب؛ ولذلك وُصِفت تلك الفترة بالجاهليّة الأولى(٢).

وفي التوقيت الزمنيّ للجاهليّة الأولى عدّة أقوال لأهل العلم، فمنهم من قال: كانت على عهد إبراهيم – عليه السّلام –؛ فقد أخرج ابْن أبي حَاتِم عَن أمّ المؤمنين عَائِشَة –رَضِي الله عَنْهَا– أَنَّهَا تلت الْآيَة الكريمة: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/٣٦٤).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧/١٨٠-١٨١).

﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الأحزاب:٣٣]، فَقَالَت: الْجَاهِلِيَّة الأولى كَانَت على عهد النبيّ إِبْرَاهِيم – عَلَيْهِ السَّلَام –، وحدّد بعض أهل العلم الجاهليّة الأولى، وقالوا: بما أنّ هناك جاهليّةً أولى؛ فهناك جاهليّةٌ أُخرى، فقالوا: إنّ الجاهليّة الأولى هي الجاهليّة التي وُلِد فيها إبراهيم – عليه السّلام –، والجاهليّة الآخِرة هي: الجاهليّة التي وُلِد فيها محمّد –عليه الصّلاة والسّلام– وهذا القول أخرجه ابن سعد عن عكرمة – رضي الله عنه –، عن عبد الله ابن عبّاس – رضي الله عنه– وجرير عن الشعبيّ: أنّ الجاهليّة الأولى هي تلك الجاهليّة التي تمتدّ في الفترة بين عيسى –عليه السّلام– ومحمّد –عليه الصّلاة والسّلام–[١].

وهذا ما يؤكده الشعر العربي الذي نشأ في الجاهلية الأخيرة، وتواترت فيه معاني ومفردات العفة والحشمة والحجاب. وبهذا يظهر أن تبرج الجاهلية الأولى كان مؤقتًا محدودًا في زمن معين[٢]، وأن هناك جاهلية أقرب للإسلام كانت المرأة فيها أكثر احتشامًا وسترًا، وإنَّما أُمَرتِ المرأة في الإسلام بالتصوُّن والتعفُّف والتستُّر والتخلُّق؛ حتى لا تشبه المرأة في الجاهليَّة الأولى التي كانت تُلقي الخمار على رأسها ولا تَشُدُّه فيواري قلائدها وقُرْطَها وعُنقها، ويبدو ذلك كله منها، وربما لبست الدِّرْعَ من اللؤلؤ غير مَخِيط الجانبيْن، ويبدو أن ذلك التبرج لم يصدر من النساء في الجاهلية الثانية ولم يصدر من الحرائر "وأنَّ ذلك لم يكن لدى البدويَّات من النساء – ذاك شيء نتمثَّله بالمنطق وجريان العادات–، ولكنه ربما كان وقْفًا على نساء القرى مثل مكة، ويثرب،

---

(١) انظر: الدر المنثور، السيوطي (٦/٦٠٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٦/ ٣٦٣، ٣٦٤).

واليمامة، والحِيرة، والطائف، وصنعاء، وما ضارع هذه المدَن العربيَّة الأزليَّة التي كانت تعرف شيئًا قليلًا أو كثيرًا من الحضارة"[١].

ولذلك قالت (الأعرابية) مَيسون بنت بَحْدلٍ الكِلابيَّة، زوجِ معاوية بن أبي سفيان حين حنت ذات ليلة إلى البادية:

ولُبْسُ عباءة وتقرَّ عيني ∴ أحبُّ إليَّ مِن لبس الشُّفوف[٢]

واستفاضت النصوص التي تدل على أن أشراف العرب كانوا يسترون نساءهم ويخفونهن عن أعين الرجال، وشواهد ذلك من شعرهم كثيرة مستفيضة، منها:

قول عنترة:

وَلَولا فَتاةٌ في الخِيامِ مُقيمَةٌ ∴ لَما اختَرتُ قُربَ الدارِ يَومًا عَلى البُعدِ

حَياءً ثُمَّ أَرخَت لِثامَه ∴ وَقَد نَثَرَت مِن خَدِّها رَطِبَ الوَردِ [٣].

عرض بعضٍ من الشواهد النثرية والشعرية :

هل كانت المرأة في الجاهلية محجبة أم سافرة؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تدعونا لاستصحاب نصوص وشواهد نثرية، ثم تدعيمها بالشواهد الشعرية، فقد دَلَّت الإشارات النثرية والشعرية على جملة من السياقات منها:

أن الأصل في المرأة الجاهلية الاستتار والاحتجاب عن أعين الرجال فلا يظهر منها إلا أجزاء قليلة من جسمها، كما كانت مختبئة دائمًا داخل خِدرها، لا تخالط الرجال الأجانب.

---

(١) انظر: ملابس المرأة الجاهليَّة في المعلَّقات، عبد الملك مرتاض. مقال على الشبكة الإلكترونية.

(٢) انظر: شرح شواهد المغني، السيوطي (٦٥٣/٢).

(٣) انظر: ديوان عنترة بن شداد (ص ٨٢).

ويستدل على ذلك بقول امرئ القيس:

وَبَيْضَــةِ خِــدرٍ لا يُــرامُ خِباؤُهَــا ∴ تَمَتَّعْتُ من لَهْوٍ بها غيرَ مُعْجَلِ[١]

وقول الأعشى:

لم تمشِ ميلًا ولم تركب على جمل ∴ ولا ترى الشمس إلا دونها الكِلَلُ[٢]

(والكلل: سِتر يُنصب على الهَوْدَج).

وقد قيل: إنَّ مِن أسباب إشعال حرب الفجار بين قريش وبني عامر: أن شابًّا من قريش أَلَحَّ على امرأة من بني عامر أن تَكشف عن وجهها فَأَبَتْ، فاحتال عليها حتى انكشفت عورتها، فصاحت بقومها، فاشتعلت الحرب، وفي هذا يقول الحلبي في سيرته معلقًا على هذه الحادثة: "يدل على أن النساء في الجاهلية كنَّ يأبين كشف وجوههن"[٣].

كما اشتهر عن نساء الجاهلية بعض الأعراف والتقاليد، منها: البروز عند سماع النعي حاسرات بغير نقاب، وخمش الوجه، وشق الجيب، كما قال طَرَفة:

فإن مُتُّ فانعيني بما أنا أهله ∴ وشُقِّي عليَّ الجيبَ يا ابنة مَعْبَدِ[٤]

وقول صخر في أختهِ الخنساء:

والله لا أمنحهـــا شـــرارها ∴ وهـي حَصان قد كفتني عارها

---

(١) انظر: ديوان امرئ القيس (ص ١٥).

(٢) انظر: ديوان الأعشى (ص ٢٤٣).

(٣) انظر: السيرة الحلبية، الحلبي (١/١٨٥).

(٤) انظر: ديوان طرفة بن العبد (ص ٦٣).

وإن هلكت خرقت خمارها ∴ واتخذت مِن شعر صدارها[1]

مما جعل البعض يذهب إلى أن الأصل في المرأة الجاهلية التحجب والتخفي عن الرجال.

ومن ذلك خبر المتجردة امرأة النعمان مَلِك الحيرة حين سقط يومًا نصيفها، فأبصرها النابغة الشاعر، فبادرت، واستترت بيدها وذراعها، فكادت ذراعها تستر وجهها لامتلائها وغلظها، فما لبث النابغة بعد هذه اللمحة اليسيرة أن نظم قصيدتهُ الدالية، وصف فيها المتجردة وصفًا نبَّه فيهِ على أكثر محاسنها حتى تجاوز إلى رُضابها، فقال فيهِ ما أوجب غضب النعمان عليهِ، ولما انتهى إلى أمر سقوط النصيف واستتار المتجردة قال:

سقط النَّصيف ولم تُرد إسقاطه ∴ فتناولته واتَّقَتْنَا باليدِ[2]

وخبر طرفة لما كان بين يدي عمرو بن هند يشرب وأَشرفت أختٌ للمَلِك فرآها طرفة، فقال فيها بيتين من الشعر نقمهما عليه عمرو بن هند، وكان من بعض ما بعثهُ على الأمر بقتلهِ كما ذكر في قصتهِ، وقد سُمِّيت القصيدة بـ(المتجردة)؛ لأنه تحَدَّث فيها عن تجردها من الحجاب.

وقد سميت قصائد بأسماء الحِجاب، ومنها (المنقبة)، وسُمِّيَ شعراءُ بمفردات الحجاب كالمثقب العبدي لقوله:

ظَهَرنَ بِكِلَّةٍ وَسَدَلنَ رَقمًا ∴ وثَقَّبنَ الوصاوصَ للعيونِ

أرين مَحاسِنًا وكَنَنَّ أُخرى ∴ من الأجيادِ والبَشَرِ المَصونِ

---

(١) انظر: شرح مقامات الحريري، الشريشي (١٦٧/٣).

(٢) انظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري (١/ ١٦٨).

ومـن ذَهَـبٍ يَلـوحُ علـى تَريـبٍ ∴ كلَونِ العاجِ ليسَ بذي غُضونِ[١]

ذكر ابن قتيبة الدينوري أنه سُمِّيَ بالمثقَّب لهذا البيت؛ وهذا البيت يؤكد احتجاب المرأة عن الرجال في الجاهلية .

وقد عبر الشاعر الجاهلي المهلهل بن ربيعة عن تذمره من الواقع الذي آلت إليه العشيرة إبَّان حرب البَسوس، وكان من هذا الواقع السيِّئ أن تخرج المرأة حاسرة، وهذا ما أثار غيرته ونخوته فقال متحسرًا متألمًا:

كنـا نغار علـى العواتـق أن تُرى ∴ بـالأمسِ خارجـةً عـن الأوطـانِ

فخـرجنَ حـين ثَـوَى كُلَيبٌ حُسَّـرًا ∴ مُسْـتَيْقِنَاتٍ بعـده بهـوانِ

يُخْمِشْنَ من أَدَمِ الوجوه حَواسِرًا ∴ مِـن بعـدهِ ويَعِـدْنَ بالأزمـانِ[٢]

وأسدلت عبلةُ حِجاب وجهها عليها حينما رأت عنترة فقال:

إن تُغـدِفي دونـي القنـاعَ فـإنني ∴ طَـبٌّ بأخـذِ الفـارسِ المـُستلئمِ[٣]

ومما يدل على أنَّ للحرة أحوالًا في الحجاب ليست للأَمَة ما تدل عليه الشواهد من أن التنقب في ذلك العهد كانت الحرائر يَستأثرن بهِ دون الإماء، حتى كانت الحرة إذا خشيت السبي يومًا وأرادت أن تأمن على نفسها تلقي عنها النقاب وتبرز حاسرةً كالأَمَة؛ ليظن أنها أمة فلا يُتعرض لها.

---

(١) انظر: ديوان المثقب العبدي (ص ٦٧).

(٢) انظر: ديوان مهلهل بن ربيعة (ص ٨٣).

(٣) انظر: ديوان عنترة بن شداد (ص ٨٢).

قال التبريزي في شرح قول معد يكرب:

وبَـــدَت لمـــيسُ كأنهـــا ∴ قمـــرُ السَّـــماء إذا تَبَـــدَّى[1]

أي: برزت هذه المرأة كاشفةً عن وجهها، وإنما فعلت كذلك إما للتشبه بالإماء حتى تأمن السباء، ومثلهُ:

ونِسوتكم في الرَّوْع بادٍ وجوهها ∴ يُخلن إماء والإماء حرائر[2]

على أن التنقب لم يكن عامًّا لكل الحرائر على السواء ملازمًا لهنَّ في جميع أحوالهنَّ؛ فإن بعضهنَّ كنَّ لا ينتقبنَ من الرجل إذا كان غير شجاع تظاهرًا بالاحتقار لهُ أن يكون عاجزًا عن حماية الأعراض ومدافعة الأعداء، وقد نقل عن بني الحارث ابن كعب خاصةً أنهُ إذا كان الرجل منهم جبانًا لم تختمر منهُ امرأة أبدًا، وكنَّ كلهنَّ جُمَع إذا فاجأهنَّ ما يذهلنَ لهُ من مصيبة أو حزن يبرزنَ حاسرات سافرات عن وجوههنَّ يلطمنها باكيات، قال الربيع بن زياد في مقتل مالك بن زهير:

من كـــان مسرورًا بمقتل مالك ∴ فليـــأت نســـوتنا بوجـــه نهـــار

يجـــد النســـاء حواسـرًا يندبنـه ∴ يلطمـــن أوجههـــن بالأســـحار

قـــد كُـنَّ يخبـــأن الوجـوه تسـترًا ∴ فـــاليوم حيـــن بـــرزن للنُّظَّـــارِ

يضـربن حُـرَّ وجـوههن علـى فتـى ∴ عَـفِّ الشـمائل طيـب الأخبـار[3]

(١) انظر: شرح ديوان الحماسة، التبريزي (٥١/١).

(٢) انظر: شرح ديوان الحماسة، التبريزي (٨١/١).

(٣) انظر: الكامل في اللغة والأدب، المبرد (٣٥٧/٢).

وقال المهلهل:

على أن ليس يُوفى مِنْ كُلَيْبٍ ∴ إذا بـــرزتْ مخبـــأةُ الخـــدور[١]

وقد وصف المتنبي مثل هذا في بعض نساء المحدثين فقال:

وأخرجـــت الخـــدور مخبـــآت ∴ يضـــعن الـــنَّقْسَ أمكنـــة الغـــوالي

أتتهـــن المصـــيبة غـــافلات فـدمع الحـزن فـي دمـع الـدلال[٢]

وتقول ليلى بنت كليب التغلبية في رثاء أخيها وقد كانت فيها مِن بقايا معاني الجاهلية:

بكـتْ تغلـبُ الغلبـاءُ يـومَ وفاتِـهِ ∴ وأُبْـرِزَ منهـا كُـلُّ ذاتِ نصـيفِ[٣]

ومثل ذلك كانت تفعل بعض النساء الجميلات المسترجلات، حتى سُمِّيَت مَن تفعل ذلك: المرأةَ البرزةَ، ذكر ذلك الشماخ وأبو النجم من الرُجَّاز، فقال الأول:

أطارت مِن الحُسن الرداء المحبَّرا[٤]

وقال الثاني:

مِن كل عجزاء سقوط البرقعِ[٥]

---

(١) انظر: ديوان مهلهل بن ربيعة (ص ٣٩).

(٢) انظر: شرح ديوان المتنبي، الواحدي (ص ١٩٨).

(٣) انظر: ديوان مهلهل بن ربيعة (ص ٣٩).

(٤) انظر: الكامل في اللغة والأدب، المبرد (٣/٧٧).

(٥) انظر: جمهرة اللغة، ابن دريد (٢/١١٢٢).

وعلى كلٍّ فأيًّا كان السبب لم تكن النساء يبرزنَ حاسرات إلا وهنَّ حريصات على التعفف حرصهنَّ عليهِ وهنَّ منتقبات مستترات، كما قال في مثلهنَّ بعض واصفيهنَّ:

برزن عفافاً واحتجبن تستراً ∴ وشيب بقول الحق منهن باطل

فذو الحلم مرتاب وذو الجهل طامع ∴ وهن عن الفحشاء حيد نواكل

كواسٍ عوارٍ صامتاتٌ نواطقٌ ∴ بعفِّ الكلام باذلات بواخل [1]

وقول عنترة:

رفعوا القباب على وجوه أشرقت ∴ فيها فغيبت السّهى في الفرقد[2]

ويقول العجير السلولي:

يبِيْنُ الجارُ حين يبين عني ∴ ولم تأنَسْ إليَّ كلابُ جاري

وتظعن جارتي من جنب بيتي ∴ ولم تُسْتَرْ بستر من جدار

وتأمن أن أطالع حين آتي ∴ عليها وهي واضعة الخِمار

كذلك هديُ آبائي قديمًا ∴ توارثه النِّجارُ عن النِّجار[3]

وقول أبو دُوَاد الإيادي:

ويصنّ الوجوه في المَيْسَنَانِيْـ ∴ ـيِ كما صانَ قرنَ شمسٍ غمامُ[4]

وقول خُفاف بن ندبة:

---

(١) انظر: شرح ديوان الحماسة، المرزوقي (ص ٩١٢).

(٢) انظر: ديوان عنترة (ص ٣٥).

(٣) انظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (٨١/١٣).

(٤) انظر:الأصمعيات الأصمعي ،(ص١٨٦) ،والمحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده (٥٣٤/٨).

وأبدى شهور الحج منها محاسنًا ∴ ووجهًا متى يحلل له الطيبُ يُشرقِ[١]

وتشير إحدى الباحثات إلى أن حجاب النساء الجاهليات هو من بقايا الأديان السماوية: "وظل هذا التشريع في مخيلة الجاهلي، فكانت النساء العربيات في العصر الجاهلي يضعن الحجاب، ويتمتعن بالعفة والحياء، ولا يكشفن شعورهن إلا في العزاء بعد أن غدا حجابهن عادة من بقايا الأديان لا خوفًا من الله – سبحانه وتعالى–"[٢]، كما يؤكد ذلك باحث آخر بقوله: "أما المرأة في الجاهلية العربية فقد كانت تمارس في الجملة نوعًا مقبولًا من التستر، ولم تعرف المجتمعات الإنسانية الراقية التبرج الذي يمارسه كثير من نساء اليوم إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين الميلادي؛ فقد شاع بين كثير من النساء العربيات في العصر الجاهلي غطاء الوجه، فضلًا عن غطاء الرأس وباقي الجسد، والشعر الجاهلي حافل بالمعاني الدالة على هذا النوع من التستر"[٣].

ومن شواهد تحجب المرأة في الجاهلية: ما يُروى عنهن في حال الخطبة؛ يقول حبيب الزيات: "ومن هنا يعلم أن الأصل في النساء جميعًا: أن يستترن بالنقاب استتارًا لا يكشفنَ فيهِ عن وجوههنَّ البتة، في ما عدا للحاجة كأن يراهنَّ الراغب في الزواج فيخطبهنَّ عن معرفة ومرأى لا عن شهادة ورواية، وقد بقي بعض هذه العادة إلى ما بعد الإسلام، فكان بعض النساء يبرزنَ للرجال يحدثنهم ويحدثونهنَّ، كما ذكر عن سَكينة بنت الحسين، وتسمى من كانت كذلك بَرْزة، وبعضهنَّ يجلسنَ لخطَّابهنَّ، كما صرح بذلك ابن عبد ربهِ في (العقد الفريد) فيما نقلهُ عن معبد بن خالد الجدلي

---

(١) انظر: الأصمعيات، الأصمعي (ص ٢٢).

(٢) انظر: الاحتشام في الشعر العربي (١– ٣)، د. زينب بيره جكلي، مقال على الشبكة الالكترونية.

(٣) انظر: حجاب المرأة عبر التاريخ، عدنان بالحارث، مقال على الشبكة الالكترونية.

أنهُ قال: «خطبت امرأة من بني أسد في زمن زياد، وكان النساء يجلسنَ لخطَّابهنَّ، فجئت لأنظر إليها وكان بيني وبينها رواق، فدعت بجفنة من الثريد مكللة باللحم فأتت على آخرها وألقت العظام نقية، ثم دعت بقربةٍ صغيرة مملوءة لبنًا فشربتْهُ حتى أكفأَت القربة على وجهها، وقالت: يا جارية، ارفعي الستر. فإذا هي جالسة على جلد أسد، وإذا شابَّةٌ جميلةٌ، فقالت لي: يا عبد الله، أنا أسدة من بني أسد وعلى جلد أسد، وهذا طعامي وشرابي، فإن أحببت أن تتقدم فتقدم، وإن أحببت أن تتأخر فتأخر. فقلت: أستخير الله في أمري وأنظر. وخرجت ولم أعد»، وأورد ابن عبد ربهِ حكايات أُخر في مثل هذا المعنى، بعضها أصرح في الدلالة، لا أنقلها لطولها فليطالعها مَن يشاء[1]، وعلى طول هذا النقل إلا أنه يؤكد أن الحجاب كان معروفًا في الجاهلية في مرحلة أو طور من أطوارها.

(١) انظر: المرأة في الجاهلية، حبيب الزيات (ص ٢٠-٢١).

ثالثاً: مفردات الحجاب ومعانيها في الشعر:

مفردات الحجاب ورموزه توافرت في الشعر العربي القديم، وإذا كانت المرأة شكلت بحضورها جزءًا كبيرًا من الشعر سواء في الموضوعات أو الصور؛ فإن تصوير حجابها لم يأخذ حيزًا كبيرًا من تلك الصور وإنما وردت له إشارات وإلماحات، وهي كافية للدلالة عليه والحكم على أنه أحد تقاليد المرأة التي أثبتها الشعراء وتداولوها في شعرهم ، وبعيدًا عن واقعية الصورة أو رمزيتها، وصحتها أو خطأها، فإن البحث في معناها المعجمي هو أحد سُبُل التعرف عليها، وسأسردها من غير ترتيب معتبر، وأبدأ بما جاء في ترتيب حجاب المرأة عن الثعالبي، حيث قال: "فصل في ترتيب الخمار؛ البُخْنق: خِرقة تلبسها المرأة، فتغطي بها رأسها، ما قَبَلَ منه وما دَبَرَ، غير وسط رأسها. ثم الغِفَارة، فوقها ودون الخِمَار. ثم الخِمَار، أكبر منها. ثم النَّصيف، وهو كالنِّصف من الرداء. ثم المِقْنَعَة. ثم المِعْجَر، وهو أصغر من الرِّداء، وأكبر من المِقْنَعَة. ثم الرِّداء"(١).

ونقف بداية عند مفردة الحجاب وهي من أعم المفردات وأكثرها معنى، وقد جاءت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ومن معانيها المعجمية: غطاء تلبسه المرأة يغطِّي الرَّأسَ والعُنُق والأكتافَ، ورُبَّما الوجه، وبذلك وردت في القرآن الكريم بمعنى ساتر وحاجز: ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾(٢)، ولم أعثر عليها في الشعر الجاهلي مرتبطة بلباس المرأة وسترها؛ مما يؤكد أنها مفردة إسلامية ارتبطت بتشريع الحجاب وبمعنى الحاجز والساتر بين المرأة والرجل الأجنبي، وعلى ذلك وردت في تفسير الآية.

---

(١) انظر: فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي (ص ١٧١).

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار (١/٤٤٤).

وقد وردت في الشعر الجاهلي لمعانٍ مقاربة من ذلك، يقول الشاعر: ولا يكلم إلا دونه الحجب.

ويقابل المرأة المحجبة في الجاهلية المكشوفة أو الحاسرة، وجاء في "تاج العروس": "وفي حَديثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: "وسُئلتْ عن امرأةٍ طَلَّقَهَا زَوْجُهَا وتَزَوَّجَها رَجُلٌ، فتحسَّرَتْ بَيْنَ يَدَيْه"، أي: قَعدَتْ حَاسِرَةً مكشوفَةَ الوَجْهِ[1]. وقال ابنُ سِيدَه: امرأةٌ حَاسِرٌ: حَسَرَتْ عنها دِرْعَها. وكُلُّ مَكْشُوفَةِ الرَّأْسِ والذِّراعَين حَاسِرٌ. والجمع حُسَّرٌ وحَوَاسِرُ؛ قال أَبُو ذُؤَيْبٍ:

وقامَ بَنَاتِي بالنِّعَالِ حَوَاسِرًا ∴ فأَلْصَقْنَ وَقْعَ السِّبْتِ تَحْتَ القَلائِدِ [2].

ويقول عوف بن عطية التيمي:

ولنعم فتيان الصباح لقيتم ∴ وإذا النساء حواسر كالعنقر[3]

يريد أنهن فوجئن بالغارة فسلبن وهن حواسر.

وسأقف عند أكثر مفردات الحجاب تداولًا عند الشعراء – من غير ترتيب – وهي:

١- العباءة:

كانت العباءة تطلق على اللِّباس الخشن للمرأة، ويقابلها الشُّفُوف ويُطلق على الملابس الحريريَّة الشفَّافة، ومنه قولُ مَيسون بنت بَحْدلٍ الكِلابيَّة، زوجِ معاوية بن أبي سفيان حين حنت ذات ليلة إلى البادية:

---

(١) انظر: تاج العروس، مرتضى الزبيدي (١١/١٧).

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (ح س ر) ٣/ ١٨٢.

(٣) انظر: المفضليات، المفضل الضبي (ص ٣٢٧).

لَلُبْسُ عَباءةٍ وتَقَرَّ عيني ∴ أَحَبُّ إليَّ مِن لُبْس الشُّفوفِ![١]

والعباءةُ والعَبَاءُ (والعَبَايَـةُ أيضًـا، وهـي المستعملة بكثرة فـي الاستعمال العربـيّ العامّيّ المعاصر): ضَرْبٌ من الأكسية، وجمعه: أعبئـة، وتكون العباءة في مألوف العادة خشنة النسج، فكأنَّها لا تكون إلا من صوف، ويعني ذلك أنَّ العباءة نقيضُ اللباس الشَّفَّاف[٢].

وفي (لسان العرب): "العَبايـةُ: ضَرْبٌ من الأَكْسِيَة واسِعٌ فيه خُطوطٌ سُودٌ كِبارٌ، والجمـع: عَبـاءٌ. وفـي الحـديث: لِباسُـهم العَبـاءُ"[٣]، ويظهـر أنهـا مرادفـة للملحفـة والمشلح، ومتطورة عنها بدليل عدم ورودها في الشعر الجاهلي بمعناها المسموع اليوم، وكثير من العرب اليوم يطلقها بهذا الوصف على لباس الرجل والمرأة على السواء.

٢- الخمار:

وهذه المفردة وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] وجاء في تفسيرها: "كانت المرأة تمر بين الرجال مسفحة بصدرها، لا يواريه شيء، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها، فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن؛ قال سعيد بن جبير: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾: وليشددن ﴿بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ يعني: على النحر والصدر، فلا يُرى منه شيء.

---

(١) انظر: شرح شواهد المغني، السيوطي (٦٥٣/٢).

(٢) انظر: اللباس وأدبيَّاته في التقاليد العربيَّة، صحيفة الاتحاد الإماراتية.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٢٦/١٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، حدثني الزنجي بن خالد، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن صفية بنت شيبة قالت: «بينا نحن عند عائشة قالت: فذكرنا نساء قريش وفضلهن. فقالت عائشة رضي الله عنها: إنَّ لنساء قريش لفضلًا، وإني –والله– ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقًا بكتاب الله ولا إيمانًا بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] انقلب إليهن رجالهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابة، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح معتجرات؛ كأنَّ على رؤوسهن الغربان»[1].

وجاء في (لسان العرب): والخِمَارُ للمرأَة وهو النَّصِيفُ، وقيل الخمار ما تغطي به المرأَة رأَسها، وجمعه: أَخْمِرَةٌ وخُمْرٌ وخُمُرٌ والخِمِرُّ – بكسر الخاء والميم وتشديد الراء – لغة في الخمار عن ثعلب وأَنشد:

ثم أَمالَتْ جانِبَ الخِمِرِّ

والخِمْرَةُ من الخِمار كاللِّحْفَةِ من اللِّحَافِ، يقال: إنها لحَسَنة الخِمْرَةِ، وفي المثل: إنَّ الْعَوَانَ لا تُعَلَّمُ الخِمْرَةَ، أَي: إن المرأَة المجرّبة لا تُعَلَّمُ كيف تفعل، وتَخَمَّرَتْ بالخِمار واخْتَمَرَتْ: لَبِسَتْه، وخَمَّرَتْ به رأْسَها: غَطَّتْه، وفي حديث أُم سلمة: أَنه كان يمسح على الخُفِّ والخِمار، أَرادت بالخمار: العمامة؛ لأَن الرجل يغطي بها رأْسه كما أَن المرأَة تغطيه بخمارها، وذلك إذا كان قد اعْتَمَّ عِمَّةَ العرب فأَدارها تحت الحنك فلا يستطيع نزعها في كل وقت فتصير كالخفين غير أَنه يحتاج إلى مسح القليل من الرأْس ثم يمسح على العمامة بدل الاستيعاب، ومنه قول عمر رضي الله عنه لمعاوية

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/٤٢-٤٣).

ما أَشبه عَيْنَك بِخِمْرَةِ هِنْدٍ، الخمرةُ: هيئة الاختمار، وكل مغطًّى مُخَمَّرٌ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنه قال: "خَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ"(١)، قال أَبو عمرو: التخمير: التغطية، وفي رواية: "خَمِّرُوا الإِناء وأَوْكُوا السِّقَاءَ"، ومنه الحديث: "أَنه أُتِيَ بإِناءٍ من لَبَنٍ، فقال: هلاَّ خَمَّرْتَه ولو بعود تَعْرِضُه عليه"(٢). والمُخَمَّرَةُ من الشِّياه: البيضاءُ الرأْسِ. وقيل: هي النعجة السوداء ورأْسها أَبيض مثل الرَّخْماءِ مشتق من خِمار المرأَة"(٣).

ومفردة الخمار جاءت في شِعر حَسَّان بن ثابت رضي الله عنه يقول:

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ∴ تلطمهنَّ بالخمرِ النساءُ(٤)

وارتبط الخمار بالمرأة منذ الجاهلية؛ قال صخر:

والله لا أمنحها شِرارها ∴ وهي التي أُرحض عني عارها

ولو هلكتُ خرقت خمارها ∴ واتخذت من شَعَرِ صدارها(٥)

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأشربة، باب تغطية الإناء (١١١/٧ رقم ٥٦٢٣)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء (١٥٩٤/٣ رقم ٢٠١٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأشربة، باب شرب اللبن (١٠٨/٧ رقم ٥٦٠٥)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب في شرب النبيذ وتخمير الإناء (١٥٩٣/٣ رقم ٢٠١١).

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٢٥٧/٤-٢٥٨).

(٤) انظر: شرح شواهد المغني، السيوطي (٨٥٠/٢).

(٥) انظر: شرح مقامات الحريري، الشريشي (١٦٧/٣).

٣- الْجِلْباب:

وهو من الألبسة العربيَّة المعروفة، وتشترك فيه المرأة والرجل، "يقال: أَدْنت المرأةُ عليها مِن جِلْبابها، وقد تجلْبَبَتْ، وأنتَ جلْبَبْتَها: إذا ألبستَها الجِلباب، وقد جاءت في القرآن الكريم : ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

واختلف المعجميُّون في تعريف الجِلباب؛ فمنهم من ذهب إلى أنَّه القميص؛ ومنهم من ذهب إلى أنَّه ثوب أوسع من الخمار، دون الرِّداء، تغطِّي به المرأةُ رأسَها وصدرها؛ ومنهم من كان يرى أنَّه ثوب واسع، وإزار سابغ دون الملحفة، تلبَسه المرأة؛ وقيل: هو الملحفة نفسها. قالت جَنوبُ، أختُ عمرٍو ذي الكلب، ترثيه:

تمشي النُّسورُ إليه وهي لاهِيَةٌ ∴ مَشْيَ العذارَى عليهنَّ الجلابيبُ[(١)]

وفي حديث عليٍّ رضي الله عنه: "مَن أحَبَّنا –أهلَ البيتِ– فلْيُعِدَّ للفقر جِلْبابًا وتِجْفافًا"[(٢)].

وفي غريب ألفاظ "التنبيه": "الْجِلبابُ (بكسر الجيم): هو الْمُلاءة التي تلتحف بها المرأة فوق ثيابها، هذا هو الصحيح"[(٣)]. وقيل: هو ما تغطي به المرأة الثياب من فوق كالملحفة. وقيل: هو الخمار لِلِبَاسِ المرأة أمام الأجانب؛ قال ابن السكيت: قالت العامرية: الجلباب الخمار. وقيل: جلباب المرأة: ملاءتها التي تشتمل بها، والجمع: جلابيب، وقال ابن الأعرابي: الجلباب: الإزار، والجلباب: الرداء. وقيل: هو كالمقنعة

(١) انظر: الحيوان، الجاحظ (٤٨٧/٦). واليسوعي : ٧٨ /١٨٩٧

(٢) أورده أبو عبيد الهروي في "غريب الحديث" (٣٥٨/٤).

(٣) انظر: تحرير ألفاظ التنبيه، النووي (ص ٥٧).

تغطي به المرأة رأسها وظهرها وصدرها، والجمع: جلابيب، وهو يأتي زائدًا على اللباس أمام الأجانب(١).

وعلى شيوع هذه المفردة في المعاجم، وشيوعها في الاستعمال في العصر الحاضر، إلا أنها لم تكن قوية الحضور في الشعر الجاهلي، فهي مفردة أشاعها الإسلام بورودها في القرآن الكريم.

٤- القناع:

والقناع في معاجم اللغة: ما يستر به الوجه، وأغدفت المرأة قناعها: أرسلته وأرخته حتى غطى وجهها(٢)، وقد ترددت هذه المفردة في الشعر الجاهلي بدلالة الحجاب والغطاء أكثر من غيرها.

قال عنترة بن شداد مخاطبًا عبلة:

إن تُغدِفي دوني القناعَ فإنني ∴ طَبٌّ بأخذِ الفارسِ المُستلئمِ(٣)

والواضح من ظاهر البيت أنها غَطَّت وجهها حتى لا يعرفها.

ويقول الشنفرى:

لقد أعجبتني لا سَقُوطًا قِناعُها ∴ إذا ما مَشَتْ ولا بِذَات تَلَفُّتِ

تَحُلُّ بِمِنْجَاةٍ مِن اللَّوْمِ بَيْتَها ∴ إذا ما بُيوتٌ بالمَذَمَّةِ حُلَّتِ

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (٦٤/١١).

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار (١٨٦٣/٣).

(٣) انظر: ديوان عنترة بن شداد (ص ٨٢).

كأَنَّ لهَا في الأَرضِ نِسْياً تَقُصُّــهُ ∴ على أَمِّــها وإِنْ تُكَلِّمْكَ تَبْلَتِ[1]

مما يؤكد على أن من عادات المرأة العربية أن تتقنع وتستتر عن الرجل الذي ليس من محارمها، وتطرق رأسها إلى الأرض إن مشت، وتَحْمَرُّ وجنتاها خجلًا إن تكلمت.

وجاء في "لسان العرب": "المِقْنَعُ والمِقْنَعَةُ؛ الأُولى عن اللحياني: ما تُغَطِّي به المرأَةُ رأْسَها"، وفي الصحاح: "ما تُقَنِّعُ به المرأَةُ رأْسَها، وكذلك كلُّ ما يستعمل به مَكْسورَ الأَوَّلِ يأْتي على مِفْعَلٍ ومِفعَلة، وفي حديث عمر رضي الله عنه: أَنه رأَى جاريةً عليها قِناعٌ فضربها بالدِّرَّةِ وقال: أَتُشَبَّهِين بالحَرائِر؟[2]، وقد كان يومئذ من لُبْسِهِنَّ. والقِناعُ والمِقْنَعةُ: ما تتَقَنَّعُ به المرأَةُ من ثوب تُغَطِّي رأْسَها ومحاسِنَها. وأَلقى عن وجْهه قِناعَ الحياءِ، على المثل.

وقَنَّعه الشيبُ خِمارَه: إِذا علاه الشيبُ؛ وقال الأَعشى: وقَنَّعَه الشيبُ منه خِمارًا، وربما سموا الشيب قِناعًا؛ لكونه موضعَ القِناعِ من الرأْس؛ أَنشد ثعلب:

حتى اكْتَسى الرأْسُ قِناعًا أَشْهَبا أَمْلَحَ لا آذى ولا مُحَبَّبا[3]

---

(١) انظر: المفضليات، المفضل الضبي (ص ١٠٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه في "المصنف"، كتاب صلاة التطوع والإمامة، في الأمة تصلي بغير خمار (٤١/٢ رقم ٦٢٣٩)، ولفظه: عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: رَأَى عُمَرُ جَارِيَةً مُتَقَنِّعَةً، فَضَرَبَهَا وَقَالَ: «لَا تَشَبَّهِينَ بِالْحَرَائِرِ».

(٣) انظر: لسان العرب،ابن منظور ، (مادة :قنع ،٨٠١/٣) . والمعجم المفصل في شواهد العربية، إميل يعقوب (٩/ ٥٢).

وجاء في "مختار الصحاح": المِقْنَعُ والمِقْنَعَةُ -بكسر أولهما-: ما تقنع به المرأة رأسها، والقِنَاعُ أوسع من المِقنعة، وأَقْنَعَ رأسه رفعه، ومنه قوله تعالى: ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ [إبراهيم:٤٣][(١)].

وفي "المعجم الوسيط": "القِنَاع: ما تُغطِّي به المرأةُ رأسَها"[(٢)].

ويقول عروة بن الورد:

فراشي فراش الضيف والبيت بيته ∴ ولم يُلهني عنه غزال مقنع[(٣)]

وقال المسيب بن علس:

إِذْ تَسْتَبِيكَ بأَصْلَتِيٍّ نَاعِمٍ ∴ قامتْ لِتَفْتِنَهُ بغيرِ قِنَاعِ[(٤)]

قال عبد الرزاق في "المصنف": «لو أخذت المرأة ثوبًا فتقنعت به حتى لا يُرى مِن شعرها شيء أجزأ عنها»[(٥)].

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَن كشف قناع امرأة وجب لها المهر»[(٦)]، وعن أنس أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أَتَى فاطمةَ بعبدٍ قد وهبه لها، قال: وعلى

---

(١) انظر: مختار الصحاح، زين الدين الرازي (ص ٢٦١).
(٢) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرين (٧٦٣/٢).
(٣) انظر: شرح ديوان الحماسة، المرزوقي (ص ١٢٠٦).
(٤) انظر: المفضليات، المفضل الضبي (ص ٦١).
(٥) أخرجه عبد الرزاق في "المصنف"، كتاب الصلاة، باب في كم تصلي المرأة من الثياب (١٢٩/٣ رقم ٥٠٣٣).
(٦) أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى"، كتاب الصداق، باب: مَن قال من أغلق بابًا أو أرخى سترًا فقد وجب الصداق (٤١٨/٧ رقم ١٤٤٨٧). ولفظه: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ثَوْبَانَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: "مَنْ كَشَفَ امْرَأَةً فَنَظَرَ إِلَى عَوْرَتِهَا فَقَدْ وَجَبَ الصَّدَاقُ".

فاطمةَ – رضي الله عنها – ثوبٌ إذا قَنَّعت به رأسها لم يَبلغ رجليها، وإذا غَطَّت به رجليها لم يبلغ رأسها، فلما رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – ما تلقى قال: "إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك»[1]، رواه أبو داود وصححه الألباني.

٥- النَّصيف:

جاء في "تاج العروس": والنَّصِيفُ كأَمِيرٍ: الخِمارُ، ومنه الحَدِيثُ في صِفَةِ الحُورِ العِينِ: «وَلَنَصِيفُ إحْداهُنَّ علَى رَأْسِها خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فِيهَا".

وأَنشَدَ الجوهرِيُّ للنَّابِغَةِ يَصِفُ امْرَأَةً:

سَقَطَ النَّصِيفُ ولَمْ تُرِدْ إِسْقاطَهُ ∴ فتَناوَلَتْهُ واتَّقَتْنا باليَدِ[2]

وقِيلَ: نَصِيفُ المرأَةِ: مِعْجَرُها. وقال أَبو سَعِيدٍ: النَّصِيفُ: ثَوْبٌ تَتَجَلَّلُ به المرْأَةُ فوقَ ثِيابِها كُلِّها، سُمِّيَ نَصِيفًا؛ لأَنّه نَصَفَ بينَ النَّاسِ وبَيْنَها، فحَجَزَ أَبْصارَهُم عَنْها، قالَ: والدَّلِيلُ على صِحَّةِ هذا قولُه: سَقَطَ النَّصِيفُ؛ لأَنَّ النَّصِيفَ إذا جُعِلَ خِمارًا فَسَقَطَ فلَيس لسَتْرِها وَجْهَها مع كَشْفِها شَعْرَها معنًى، ويُقالُ: النَّصِيفُ: العِمامَةُ، وكُلُّ ما غَطَّى الرَّأْسَ فهو نَصِيفٌ[3].

وقيل: نَصِيف المرأَة: مِعْجَرُها[4].

وفي "المعجم الوسيط": رجل منصِّف: خمَّرَ رأسه بعمامة. والنَّصِيفُ: كل ما غَطَّى الرأس من خِمار أو عِمامة[5].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، باب في العبد ينظر إلى شعر مولاته (٦٢/٤ رقم ٤١٠٦).

(٢) انظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري (١/ ١٦٨).

(٣) انظر: تاج العروس، مرتضى الزبيدي (٤١٢/٢٤).

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٣٣٢/٩).

(٥) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرين (٩٢٦/٢-٩٢٧).

وجاءت هذه المفردة في قول ليلى بنت كليب التغلبية في رثاء أخيها، وقد كانت فيها مِن بقايا معاني الجاهلية:

بكتْ تغلبُ الغلباءُ يومَ وفاتِهِ ∴ وأُبْرِزَ منها كُلُّ ذاتِ نصيفِ[١]

٦- الوصواص:

في "الصِّحاح": ثَقْبٌ في "السِّتْرِ" ونَحْوِه "بمِقْدَارِ عَيْنٍ تَنْظُر فيه". قال: "في وَهَجَانٍ يَلِجُ الوَصْوَاصَا". ووَصْوَصَ: نَظَرَ فِيهِ. "وَصْوَصَ الجِرْوُ": فَتَح عَيْنَيْه " كبَصْبَصَ". عن ابنِ عَبّادٍ: وَصْوَصَت المرَأَةُ: ضَيَّقَتْ نِقَابَهَا فَلَمْ يُرَ منه إلاَّ عَيْنَاهَا. وقال الفَرَّاءُ: إذا أَدْنَت المرَأَةُ نِقَابَهَا إلى عَيْنَيْهَا فتِلْكَ الوَصْوَصَةُ "كوَصَّصَتْ" تَوْصِيصًا. قال أَبو زيْدٍ: النِّقَابُ على مَارِنِ الأَنْفِ. والتَّرْصِيصُ لا يُرَى إلا عَيْنَاهَا. وتَمِيمٌ تَقُولُ: هو التَّوْصِصُ – بالوَاو –، وقد رَصَّصَتْ ووَصَّصَت. وقال الجوهَرِيُّ: التَّوْصِيصُ في الانْتِقابِ مِثْلُ التَّرْصِيصِ. "والوَصَاوِصُ": "بَرَاقِعُ صِغَارٌ تَلبَسُها الجارِيَةُ"، جَمْعُ وَصْوَاصٍ. وفي الصِّحاح: الوَصْوَاصُ: البُرْقُعُ الصَّغِيرُ.

وأَنشد للمُثَقِّب العَبْدِيّ:

ظَهَرْنَ بكِلَّةٍ وسَدَلْنَ رَقْمًا ∴ وثَقَّبْنَ الوَصَاوِصَ لِلعُيُونِ[٢]

وأَنْشَدَ ابنُ بَرّيّ لِشَاعِرٍ:

"يا لَيْتَهَا قد لبِسَت وَصْوَاصَا"

---

(١) انظر: ديوان مهلهل بن ربيعة (ص ٣٩).

(٢) انظر: ديوان المثقب العبدي (ص ٦٧).

والوَصَائِصُ: مَضَايِقُ مَخَارِجِ عَيْنَيِ البُرْقُعِ كالوَصَاوِصِ. ووَصْوَصَ الرَّجلُ عَيْنَه: صَغَّرَها ليَسْتَثْبِتَ النَّظَرَ. عن ابْنِ دُرَيْد. وقيل الوصوصة: إذا أدنت المرأة نقابها إلى عينها، فتلك الوصوصة[١].

٧- العجار:

والمعجر من مفردات الحجاب التي لم أعثر عليها في الشعر الجاهلي، ولا أعرفها تستخدم في العصر الحديث، ولكنها مستعملة في بداية الإسلام، وهي في المعاجم بمعنى الخمار والنصيف، جاء في "المعجم الوسيط": "اعْتَجَر فلانٌ بالعِمَامَة: لفَّها على رأسه وردَّ طرفها على وجهه. وفي الحديث: «أن النبيَّ ﷺ دخل مكَّة يوم الفتح معتجرًا بعمامة سوداء»[٢]. والمرأةُ: اختمرت بالعجار"[٣]. ولم ترد مرتبطة بحجاب المرأة في الشعر الجاهلي.

٨- النِّقاب:

النقاب هو القناع على مارن الأنف، قال في "التهذيب": والنقاب على وجوه، قال الفراء: أَدْنَتِ المرأة نقابها إلى عينها فتلك الوصوصة، فإن أنزلته دون ذلك إلى المحجر فهو النقاب، وإن كان على طرف الأنف فهو اللِّفام. وقال أبو زيد: النِّقابُ على مارِنِ الأنف. وقال أبو عبيد: النقاب عند العرب هو الذي يبدو منه المَحْجِر[٤].

---

(١) انظر: تاج العروس، مرتضى الزبيدي (٢٠٢/١٨-٢٠٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب اللباس وآدابه، إباحة لبس المرء العمائم السود (٢٤٣/١٢ رقم ٥٤٢٥)، بلفظ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ».

(٣) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وآخرين (٥٨٥/٢).

(٤) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (١٦٠/٩).

ومارِنُ الأَنف: ما لان من طرف الأنف، ومَحْجِر العَيْن: ما أحاط بها. وقد جاء النقاب بهذا المعنى في قول "الأحيمر السعدي" :

ولمـــا تبـــدت للرحيـــل ركابنـــا ∴ وجـد بنـا سـير وفاضـت مـدامع

تبـدت لنـا مـذعورة مـن خبائهـا ∴ وناظرهـا بـاللؤلؤ الرطـب دامـع

أشـارت بـأطراف البنـان وودعـت ∴ وَأَوْمَتْ بعينيهـا متـى أنـت راجـع؟

فقلـت لهـا: والله مـا مـن مسـافر ∴ يسـير ويـدري مـا بـه الله صـانع

فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها ∴ فسالت من الطرف الكحيل مدامع

وقالـت: إلهـي كـن عليـه خليفـة ∴ فيـا رب مـا خابـت لـديك الودائـع[1]

وقد ورد النقاب في قول الشاعرة "أم عمران بنت وقدان" :

إن أنـــتم لـــم تطلبـــوا بـــأخيكم ∴ فـذروا السـلاح ووحشـوا بـالأبرق

وخـذوا المكاحـل والمجاسـد والبسـوا ∴ نقب النساء فبئس رهط القوم المرهق[2]

وفي "تاج العروس" جاء عن النقاب أنه "ما تنتقب به المرأة، وهو القناع على مارن الأنف، قاله أبو زيد. والجمع نقب. وقد تنقبت المرأة، وانتقبت. وفي التهذيب: والنقاب على وجوه. وفي حديث ابن سيرين: "النقاب محدث" أراد: أن النساء ما كُنَّ يَنتقبن، أي: يختمرن. قال أبو عبيد: ليس هذا وجه الحديث، ولكن النقاب عند العرب هو الذي يبدو منه محجر العين؛ ومعناه: أن إبداءهن المحاجر محدث، إنما كان النقاب لاصقًا بالعين، وكانت تبدو إحدى العينين، والأخرى مستورة، والنقاب لا يبدو

---

(١) انظر: المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي (ص ٢٩٠).

٢) شرح ديوان الحماسة ، المرزوقي ، تحقيق: غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .: ٢٠٠٣، ١٠٨١

منه إلا العينان. وكان اسمه عندهم الوصوصة والبرقع، وكان من لباس النساء، ثم أحدثن النقاب بعد"[١].

ويرى بعض الكتاب الذين لم يتعمقوا في البحث أن النقاب عادة عربية أو بدوية، لكن باحثًا مصريًّا تعمق في دراسة هذا الموضوع وهو محمود سلام زناتي، وأصدر كتاب "قصة السفور والنقاب واختلاط وانفصال الجنسين عند العرب" يرى رأيًا آخر فيقول: "كانت الفكرة السائدة هي أن الإسلام فرض النقاب على النساء، وحظر على النساء الاختلاط بالرجال، وقد راعني أنني كلما أوغلت في البحث تكاثرت أمامي الشواهد الدالة على أن النقاب ليس نظامًا عربيًّا"[٢].

٩- **اللثام**: قال الفراء: القناع إذا كان على الفم فهو اللَّثام[٣].

وفي "المعجم الوسيط": اللِّثَامُ: النقاب يوضع على الفم أَو الشَّفَة[٤].

وقال ابن حجر في "الفتح": "(وقالت) أي: عائشة (لا تلثم) –بمثناة واحدة وتشديد المثلثة– وهو على حذف إحدى التاءين. وفي رواية أبي ذر: (تلتثم) – بسكون اللام وزيادة مثناة بعدها– أي: لا تُغطي شفتها بثوب"[٥].

١٠– **البرقع**: جمع البرقع: البراقع، تلبسها الدواب وتلبسها نساء الأعراب، وخاصة في الصحراء، وكذلك غطاء فيه خرقان للعين.

---

(١) انظر: تاج العروس، مرتضى الزبيدي (٤/٢٩٨-٢٩٩).

(٢) انظر: تاريخ النقاب.. عادة قديمة تناوبت عليها الأمم (١-٢)، سليمان الحديثي، مقال بصحيفة الاقتصادية السعودية على الشبكة الإلكترونية.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٩/٣٣٢).

(٤) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرين (٢/٨١٥).

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر (٣/٤٠٦).

قال أبو النجم العجيلي:

من كل عجزاء سقوط البرقع[١]

وهكذا تذكر أكثر معاجم اللغة أن البرقع خاص بنساء البادية، جاء في لسان العرب: "قال الليث: جمع البرقع البراقع، قال: وتلبسها الدواب وتلبسها نساء الأعراب وفيه خرقان للعينين"[٢].

١١- الغدفة:

ولم أعثر عليها في الشعر الجاهلي مفردة لمعنى الحجاب، بل هي فعل ارتبط بالقناع

جاءت في بيت عنترة بن شداد مخاطبًا عبلة:

إن تُغدِفي دوني القناعَ فإنني ∴ طَبٌّ بأخذِ الفارسِ المُستلئمِ[٣]

ومن معانيها في معجم المعاني:

أَغْدَفَت المرأَةُ قِنَاعَها: أَرسلَتْه على وجهها

أَغْدَفَ الصَّيَّادُ الشبكةَ على الصَّيد: أَسبلها عليه

وفي (لسان العرب) لابن منظور:

«أَغْدَفَتِ الْمَرْأَةُ قِنَاعَهَا: أَرْسَلَتْهُ. وَأَغْدَفَ قِنَاعَهُ: أَرْسَلَهُ عَلَى وَجْهِهِ.

(١) انظر: جمهرة اللغة، ابن دريد (١١٢٢/٢).

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٩/٨).

(٣) انظر: ديوان عنترة بن شداد (ص ٨٢).

وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَّهُ أَغْدَفَ عَلَى عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- سِتْرًا، أَيْ: أَرْسَلَهُ»؛ رُوِيَ أَنَّهُ حِينَ قِيلَ لَهُ: هَذَا عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ قَائِمَيْنِ بِالسُّدَّةِ؛ فَأَذِنَ لَهُمَا فَدَخَلَا، فَأَغْدَفَ عَلَيْهِمَا خَمِيصَةً سَوْدَاءَ، أَيْ: أَرْسَلَهَا. وَالْغِدْفَةُ: لِبَاسُ الْمَلِكِ».

الخلاصة والتوصيات:

يعد موضوع حجاب المرأة – كما كثير من قضاياها– ثريٌّ وشائك ومتشعب، وتأكد لي بعد البحث تداول الشعراء الجاهليين مفردات تدل على حرص المرأة الجاهلية على العفة والحياء، ولبسها العباءة والقناع والبرقع واللثام، وغيرها..، وحرصها على التستر عن أعين الرجال، ولكن ذلك لا يعني أنه حكم عام؛ بل له استثناءات تجعل الباحث في حيرة، فأمامنا نص القرآن الذي ينهى عن تبرج الجاهلية الأولى، ولدينا نصوص جاهلية تؤكد وجود المرأة الحيية العفيفة، والسافرة، والحاسرة، مما جعلني أجمل أحوال المرأة في الجاهلية مع الحجاب، وأخرج بالنتائج التالية:

- هناك جاهلية أولى وجاهلية ثانية أو أخرى، وفي كل منها كان للمرأة طقوس وأحوال، والغالب أن الجاهلية التي نشأ فيها الشعر الفصيح، ووصلنا في أكمل صوره كانت فيها المرأة في الغالب محجبة من أثر بقايا الأديان.
- لفتت المرأة المحجبة أنظار الشعراء، وألهمت مشاعرهم وخيالاتهم، وبالغ الشعراء في مدح عفة المرأة وتسترها وصونها لنفسها حتى أصبح ذلك هدفًا للوصول إليها.
- أكثر الشعراء من وصف المرأة بالبيضة والدرة المكنونة، وصوروا الشمس منافسة لهم على رؤيتها.
- لم تَرِد مفردة الحجاب في الشعر الجاهلي بمعنى الستر للمرأة، ووردت في القرآن الكريم بهذا المعنى، فهي مفردة إسلامية ارتبطت بالدين، ومن معاني الحجاب التي تطورت في الإسلام: المعجر والجلباب، ومن أكثر المفردات ترددًا في الشعر الجاهلي: مفردة القناع، ومع أنها ليست حكرًا على المرأة، بل يشاركها الفارس هذا المعنى، مما يدل على أن للقناع معنى رفيعًا ونبيلًا ودلالات محببة، ومما يعني تداخل الصورة والمثل العالية في مفردات الحشمة والستر عند الشاعر الجاهلي.
- المرأة حرة وجارية، وحضرية وبدوية، صغيرة وغرة، وكبيرة وبرزة، ولكل منهن

سماتها ولباسها وما يخصها.

- يعتري المرأة أحوال تذهل فيها عن سترها وحجابها كالمكلومة والمفجوعة في أحبابها، ويترخص لها فيه أحيانًا كالأمة وكالمخطوبة.
- المرأة إمَّا حقيقية واقعية وإما متخيلة رمزية، وفي كلتا الحالتين تَشَعَّب الشعراء في تصويرها ما بين الواقع والخيال.

ومن هنا تباينت أحوال الحجاب وفقًا لتباين أحوال المرأة، ولذلك يمكننا القول: إن المرأة في كل عصر ومصر تتباين أحوالها مع الحجاب والستر، ففي كل عصر توجد المرأة المتبرجة والمرأة المتسترة، والمتبذلة والعفيفة، وقد كان للشرائع السماوية أثر في فرض الحجاب والعفة ودعمها على مر العصور، وكان من آثار الإسلام على الحجاب أن جعله فريضة، وأضيفت له مفردات اختصت به كالحجاب والجلباب، وتطورت دلالة بعض المفردات كالنقاب والبرقع، وبعد مجيء الإسلام تأكد وجوب الحجاب على المرأة بتواتر نصوص من الكتاب والسنة تؤكد على حرص الإسلام على صيانة المرأة وحماية جنابها، وقد تشعبت مذاهب العلماء والفقهاء في فهم هذه النصوص، واستفاضت الكتب العلمية والفقهية بالآراء التي تتحدث عن حدود حجاب المرأة وشرعيته، وهي في مظانها لمن أراد الاطلاع عليها(١).

وتوصي الدراسة بالتوجه نحو بحث مفردات ومكونات حجاب المرأة على مدى العصور الإسلامية، ودراسة الوشائج بين الحجاب قديمًا وحديثًا، وتتبع دلالته وقيمته الثقافية والأدبية من خلال النصوص الأدبية شعرًا ونثرًا.

---

(١) من المراجع الفقهية في موضوع الحجاب، انظر: ١- حراسة الفضيلة، بكر أبو زيد. ٢- رسالة الحجاب، محمد بن عثيمين. ٣- أدلة الحجاب، محمد إسماعيل المقدم.

فهرس المصادر والمراجع

١. «استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية». الشهري، عبد الهادي بن ظافر. الطبعة: الأولى، د. م، مطبعة دار الكتاب الجامعي، ٢٠٠٤م.

٢. «الأصمعيات». الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع أبو سعيد. تحقيق: أحمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون، الطبعة: السابعة، مصر: دار المعارف، ١٩٩٣م.

٣. «الأغاني». الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم أبو الفرج. تحقيق: سمير جابر. الطبعة: الثانية، بيروت: دار الفكر، د. ت.

٤. «أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)». العلوي، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة: الأولى، د. م، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.

٥. «تاج العروس من جواهر القاموس». الزبيدي، محمَّد بن محمَّد بن عبد الرزَّاق الحسيني، أبو الفيض، تحقيق: مجموعة من المحققين، د. ط، د. م، دار الهداية، د. ت.

٦. «تاريخ النقاب.. عادة قديمة تناوبت عليها الأمم (١ من ٢)». الحديثي، سليمان. صحيفة الاقتصادية السعودية. متاح على الشبكة الإلكترونية في: https://www.aleqt.com/٢٠١٩/٠٣/٠٨/article_١٥٥٦٣٩٦.html

٧. «تحرير ألفاظ التنبيه». النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. تحقيق: عبد الغني الدقر، الطبعة: الأولى، دمشق: دار القلم، ١٤٠٨هـ.

٨. «التداولية بين المفهوم والتصور». حسان، أحمد سالم عوض. متاح على شبكة المعلومات الدولية في:

https://www. alukah.

net/literature_language/٠/١٢٦٥٣٨/#ixzz٦Eb٩cebKf

٩. «التداولية عند العلماء العرب». صحراوي، مسعود. الطبعة: الأولى، لبنان – بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م.

١٠. «التداولية ومنزلتها في النقد الحديث والمعاصر». أمحمد، رخرور. الجزائر، متاح على شبكة المعلومات الدولية في:

https://brahmiblogspotcom. blogspot. com/٢٠١١/٠٥/blog-post_٨٥١٠. html

١١. «تفسير القرآن العظيم». ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ١٤١٩ هـ.

١٢. «تفسير القرآن العظيم». ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر. تحقيق: أسعد محمد الطيب. الطبعة: الثالثة، المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩ هـ.

١٣. «تفسير القرطبي». القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. الطبعة: الثانية، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٤. «تهذيب اللغة». الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي أبو منصور. تحقيق: محمد عوض مرعب. الطبعة: الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

١٥. «جمهرة اللغة». بن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الطبعة: الأولى، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

١٦. «حجاب المرأة عبر التاريخ». بالحارث، عدنان. متاح على الشبكة الإلكترونية في:

http://www.bahareth.org/index.php?browse=article&id=١٠٦٥٣

١٧. «حراسة الفضيلة». أبو زيد، بكر بن عبد الله. الطبعة: الحادية عشر، الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

١٨. «الحماسة». البحتري، أبو عُبَادة الوَليد بن عُبَيد. تحقيق: د. محمَّد إبراهيم حُوَّر- أحمد محمد عبيد، د. ط، الإمارات العربية المتحدة - أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

١٩. «الحيوان». الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني. الطبعة: الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ.

٢٠. «الدر المنثور». السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. د. ط، بيروت: دار الفكر، د. ت.

٢١. «ديوان أبي فراس الحمداني». أبو فراس الحمداني، الحارث بن سعيد بن حمدان. عُني بجمعه ونشره وتعليق حواشيه ووضع فهارسه: سامي الدهان. د. ط، بيروت: مكتبة الدكتور مروان العطية، ١٣٦٣هـ- ١٩٤٤م.

٢٢. «ديوان الأعشى». قيس، ميمون. تحقيق: محمد حسين، د. ط، القاهرة: مكتبة الآداب، د. ت.

٢٣. «ديوان المثقب العبدي». المثقب العبدي، العائذ بن محصن بن ثعلبة. تحقيق وتعليق: حسن كامل الصيرفي، الطبعة: الأولى، جامعة الدول العربية- معهد المخطوطات العربية، د. م، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

٢٤. «ديوان امرؤ القيس». امْرُؤُ القَيْس، بن حجر بن الحارث الكندي. اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، الطبعة: الثانية، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٥. «ديوان طرفة بن العبد». البكري، طَرَفَة بن العَبْد بن سفيان بن سعد. تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين. الطبعة: الثالثة، د. م، دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٢٦. «ديوان عنترة». العبسي، عنترة بن عمرو بن شداد بن معاوية بن قراد. د. ط، بيروت: مطبعة الآداب، ١٨٩٣م.

٢٧. «ديوان مهلهل بن ربيعة». ربيعة، مهلهل. شرح وتقديم: طلال حرب. د. ط، د. م، الدار العالمية، د. ت.

٢٨. «السنن الكبرى». البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. الطبعة: الثالثة، لبنان – بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٢٩. «السيرة الحلبية». الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد أبو الفرج. الطبعة: الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ.

٣٠. «شرح ديوان الحماسة». التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ. د. ط، بيروت: دار القلم، د. ت.

٣١. «شرح ديوان الحماسة». المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن أبو علي الأصفهاني. تحقيق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، الطبعة: الأولى، لبنان – بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٣٢. «شرح ديوان المتنبي». الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. د. ط، د. م، د. ن، د. ت.

٣٣. «شرح شواهد المغني». السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان، مذيل وتعليقات: الشيخ محمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي، د. ط، د. م، لجنة التراث العربي، ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م.

٣٤. «شرح مقامات الحريري». الشُّريشي، أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيْسي. الطبعة: الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦ م – ١٤٢٧ هـ.

٣٥. «شعب الإيمان». البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى. حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي الهند. الطبعة: الأولى، الهند – بومباي: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣ م.

٣٦. «الشعر والشعراء». ابن قتيبة، أبو محمد؛ عبد الله بن مسلم الدينوري، د. ط، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣ هـ.

٣٧. «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية». الجوهري، إسماعيل بن حماد أبو نصر. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. الطبعة: الرابعة، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٨. «صحيح ابن حبان». ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، أبو حاتم البستي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. الطبعة: الثانية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ - ١٩٩٣.

٣٩. «صحيح البخاري». البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة: الأولى، د. م، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٤٠. «صحيح مسلم». الحجاج، مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.

٤١. «صورة المرأة في الشعر الجاهلي "وهم الأسطورة" أو "أسطرة الحقيقة"». العامري، محمد أحمد. مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، صنعاء، م (١)، (٢)، ٢٠١٤م، ٢٨٤-٣٣٦.

٤٢. «الطبقات الكبرى». ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤٣. «العقد الفريد». ابن عبد ربه الأندلسي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم. الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤ هـ.

٤٤. «غريب الحديث». أبو عبيد الهروي، القاسم بن سلام. تحقيق: حسين محمد محمد شرف، مراجعة: عبد السلام هارون. الطبعة: الأولى، القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤ م.

٤٥. «فتح الباري شرح صحيح البخاري». ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. د. ط، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

٤٦. «فقه اللغة وسر العربية». الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولى، د. م، إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

٤٧. «الكامل في اللغة والأدب». المبرد، محمد بن يزيد. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثالثة، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٤٨. «لسان العرب». ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين. الطبعة: الثالثة، بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.

٤٩. «اللباس وأدبيَّاته في التقاليد العربيَّة». صحيفة الاتحاد الإماراتية. متاح على الشبكة الإلكترونية في:

https://www. alittihad. ae/article/٤٥٧٨٥/٢٠٠٨/اللباس-وأدبيّاته-في-التقاليد-العربيَّة

٥٠. «المحكم والمحيط الأعظم». بن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥١. «مختار الصحاح». الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. الطبعة: الخامسة، بيروت- صيدا: المكتبة العصرية- الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥٢. «المستدرك على الصحيحين». الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم أبو عبد الله. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. الطبعة: الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٥٣. «المستطرف في كل فن مستظرف». الأبشيهي، شهاب الدين. شرح: مفيد قميحة، الطبعة الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م.

٥٤. «المصنف». الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. الطبعة: الثانية، الهند: المجلس العلمي، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.

٥٥. «معجم اللغة العربية المعاصرة». عمر، أحمد مختار عبد الحميد. الطبعة: الأولى، د. م، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨م.

٥٦. «المعجم المفصل في شواهد العربية». يعقوب، إميل بديع. الطبعة: الأولى، د. م، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٥٧. «المعجم الوسيط». مصطفى، إبراهيم. وآخرين، د. ط، د. م، دار الدعوة، د. ت.

٥٨. «المرأة في الجاهلية». الزيات، حبيب. د. ط، مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٤م.

٥٩. «المرأة من خلال الغزل في الشعر الجاهلي». اللبَّان، سحر عبد القادر. متاح

على الشبكة الإلكترونية في:

www. saaid. net/daeyat/saharlabban/٣٨. htm

٦٠. «المفضليات». الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. الطبعة: السادسة، القاهرة: دار المعارف، د. ت.

٦١. «المقاربة التداولية». أرمينكو، فرانسواز. تحقيق: سعيد علوش. الطبعة: الأولى، د. م، منشورات مركز الإنماء القومي، ١٩٨٧م.

٦٢. «ملابس المرأة الجاهليَّة في المعلَّقات». مرتاض، عبد الملك. متاح على الشبكة الإلكترونية في:

http://www. merbad. net/vb/showthread. php/٢١٣١٧-ملابس-المرأة-الجاهليَّة-في-المعلّقات-عبد-الملك-مرتاض